النكـــاح

□ النكـاح □

اعلم يا أخي أن ترك النكاح رهبانية ، والمتزوجون في العلو بإبانية ، أما مذهب أحمد أحمدُ مذهب ، وهو إلى تفضيل النكاح على التبتل يذهب ، إن ليلة بات فيها أبو الشافعي مع زوجته ، ووالد أحمد مع امرأته حتى حملتا من حمل ما حملا من العلوم ، أفضل من تعبد عابدٍ ألف سنة يصلي ويصوم . وقد يقال : فربما جاء نوح بكنعان . فقل : وربما أتى صهيب وسلمان . ثم إن الثواب على قدر نية الإنسان ، ومهما كان كان .

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف »[(١)] .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاث من فعلهن ثقة بالله واحتسابًا كان حقًّا على الله أن يعينه ، وأن يبارك له : من سعى في فكاك رقبة ثقة بالله واحتسابًا كان حقًّا على الله أن يعينه ، وأن يبارك له ، ومن تزوج ثقة بالله واحتسابًا كان حقًّا على الله تعالى أن يعينه ، وأن يبارك له ، ومن أحيا أرضًا ميتة ثقة بالله واحتسابًا كان حقًّا على الله أن يعينه ، وأن يبارك له »[(٢)] .

قال المناوي :

« من تزوج ثقة بالله واحتسابًا » فلم يخشَ العيلة ، بل توكل على الله ، وامتثل أمره في التزويج ، وأمر نبيه ﷺ « كان حقًّا على الله تعالى أن يعينه » على

---

(١) حسن : رواه أحمد في مسنده ، والترمذي ، وابن ماجة ، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٠٤٥ .

(٢) إسناده صالح : رواه الطبراني في الأوسط ، وكذا البيهقي من حديث عبيد الله بن الوازع عن أيوب بن أبي الزبير عن جابر وحسنه السيوطي وقال الذهبي في المهذب : إسناده صالح مع نكارته عن أبي أيوب . انظر فيض القدير ٣ / ٢٩١ .

الإنفاق وغيره « وأن يبارك له » في زوجته ؛ لأن من وثق بالله لم يكله إلى نفسه ، بل يتولى أموره ، ويسدده في أقواله وأفعاله ، ومن طلب منه الثواب بإخلاص ، أفاض عليه من بحر جوده ونواله(١) .

فيمن ترك محبوبه حرامًا فبُذل له حلالًا أو أعاضه الله خيرًا منه :

تحت هذا العنوان كتب شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية :

عنوان هذا الباب وقاعدته أن من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه .

قال يحيى بن عامر التيمي : خرج رجل من الحي حاجًّا ، فورد بعض المياه ليلًا ، فإذا هو بامرأة ناشرة شعرها ، فأعرض عنها ، فقالت له : هلمّ إليّ ، فلمَ تعرض عني ؟ فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، فتجلببت ثم قال : هِبْتَ والله مُهابا ، إنَّ أولى من شَركك في الهيبة لَمَنْ أراد أن يُشْركك في المعصية . ثم ولَّتْ فتبعها ، فدخلت بعض خيام الأعراب ، قال : فلما أصبحتُ أتيتُ رجلًا من القوم فسألته عنها ، وقلت : فتاة صفتها كذا وكذا . فقال : هي والله ابنتي . فقلت : هل أنت مُزوجي بها ؟ فقال : على الأكفاء ، فمن أنت ؟ فقلت : رجل من تيم الله ، قال كُفوٌ كريم . فما رمْت حتى تزوجتها ودخلت بها ، ثم قلت : جهزوها إلى قدومي من الحج ، فلما قدمنا حملتها إلى الكوفة ، وهاهي ذي ولي منها بنون وبنات .

وقال الحسن بن زيد : وَلينا بديار مصر رجلٌ فوجد على بعض عماله ، فحبسه وقيّده ، فأشرفت عليه ابنة الوالى فهَويَتْه فكتبت إليه :

أيها الرامـي بعينيـــ ـه وفي الطرف الحتوفُ
إن تُرِدْ وصلا فقد أمـ ـكنكَ الظبيُ الألوفُ

فأجابها الفتى :

إن تَرَيْني زاني العيـ ـنين فالفرج عفيفُ

---

(١) فيض القدير (٣ / ٢٩١) .

ليس إلا النظر الفا   تر والشعر الظريفُ

فأجابته :

قد أردنــاك فألفيـــ   ـناك إنسانًا عفيفًـا
فتأبَّيْتَ فـلا زِلْـ   ـتَ لقَيْدَيْكَ حليفًا

فأجابها :

مـا تأبَّيْتُ لأنــي   كنتُ للظبي عَيوفا
غير أني خِفتُ ربًّا   كان بي بَرًّا لطيفًا

فذاع الشعر، وبلغت القصة الوالي فدعا به فزوجه إياها، ودفعها إليه(١).

والجزاء من جنس العمل .

قال مالك بن دينار : جنات النعيم بين الفردوس وبين جنات عدن ، فيها جَوارٍ خُلقن من ورد الجنة ، يسكنها الذين هَمّوا بالمعاصي فلما ذكروا الله عز وجلّ راقبوه ، فانثنت رقابهم من خشية الله عز وجل(٢) .

وفي المقابل يقول ابن قيم الجوزية :

ذكر عبد الملك بن قريب قال : هويَ رجلٌ من النساء جارية فاشتد حبه لها ، فبعث إليها يخطبها ، فامتنعت ، وأجابته إلى غير ذلك(٣) ، فأبى وقال : لا ، إلّا ما أحلّ الله ، ثم إن محبّته ألقيت في قلبها ، فبذلت له ما سأل ، فقال : لا والله ، لا حاجة لي بمن دعوتها إلى طاعة الله ، ودعتني إلى معصيته(٤) .

والجزاء من جنس العمل .

قصة ابن عقيل مع العقد :

قال الحافظ الذهبي :

---

(١) ، (٢) روضة المحبين لابن قيم الجوزية ص٤٤٣ - ٤٥٠ .
(٣) أي امتنعت عن الزواج ، وأجابته إلى الوصل الحرام .
(٤) روضة المحبين ص ٤٥٤ .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : حكى ابن عقيل عن نفسه قال : حججت ، فالتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر ، فإذا شيخ أعمى ينشده ، ويبذل لملتقطه مائة دينار ، فرددته عليه ، فقال : خذ الدنانير. فامتنعت ، وخرجت إلى الشام ، وزرت القدس ، وقصدت بغداد ، فأويت بحلب إلى مسجدٍ وأنا بردان جائع، فقدموني، فصليت بهم، فأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا تُوفي فصلِّ بنا هذا الشهر ، ففعلت ، فقالوا : لإمامنا بنت ، فزُوجت بها ، فأقمت معها سنة ، وأولدتها [ولدًا ذكرا]، فمرضت في نفاسها، فتأملتها يومًا فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر ، فقلت لها : لهذا قصة ، وحكيت لها ، فبكت . وقالت : أنت هو والله ، لقد كان أبي يبكي . ويقول : اللهم ، ارزق بنتي مثل الذي ردّ العقد عليّ، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العقد والميراث، وعدت إلى بغداد(١) .

والجزاء من جنس العمل .

كنت مجاورًا بمكة – حرسها الله تعالى – فأصابني يومًا من الأيام جوع شديد ، لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع ، فوجدتُ كيسًا من إبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا ، فأخذته وجئت به إلى بيتي ، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ لم أر مثله ، فخرجت فإذا الشيخ ينادي عليه ، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول : هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ ، فقلت : أنا محتاج ، وأنا جائع ، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به ، وأرد عليه الكيس ، فقلت له : تعال إليّ ، فأخذته وجئت به إلى بيتي ، فأعطاني علامة الكيس ، وعلامة الشرابة ، وعلامة اللؤلؤ وعدده ، والخيط الذي هو مشدود به ، فأخرجته ودفعته إليه ، فسلم إلي خمسمائة دينار ، فما أخذتها ، وقلت : يجب عليّ أنْ أعيده إليك ولا آخذ له جزاء ، فقال لي: لابد أن تأخذ . وألحَّ عليّ كثيرا ، فلم أقبل ذلك منه ، فتركني ومضى .

(١) سير أعلام النبلاء (١٩ / ٤٤٩ – ٤٥٠) .

وأما ما كان مني : فإني خرجت من مكة وركبتُ البحر ، فانكسر المركب وغرق الناس ، وهلكت أموالهم ، وسلمت أنا على قطعة من المركب ، فبقيت مدة في البحر لا أدري أينِ أذهب ، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم ، فقعدت في بعض المساجد ، فسمعوني أقرأ ، فلم يبقَ في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال : علمني القرآن . فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال .

قال : ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف ، فأخذتها أقرأ فيها . فقالوا لي : تحسن تكتب ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : علمنا الخط ، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب ، فكنت أعلمهم ، فحصل لي أيضا من ذلك شيء كثير ، فقالوا لي بعد ذلك : عندنا صبية يتيمة ، ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها ، فامتنعت فقالوا : لابد . وألزموني فأجبتهم إلى ذلك . فلما زفوها إليّ مددت عيني أنظر إليها ، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها ، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه ، فقالوا : يا شيخ ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ، ولم تنظر إليها . فقصصت عليهم قصة العقد ، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير ، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة ، فقلت : ما بكم ؟ فقالوا : ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية ، وكان يقول : ما وجدتُ في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي ردّ علي هذا العقد ، وكان يدعو ويقول : اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي ، والآن قد حصلت ، فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين . ثم إنها ماتت ، فورثت العقد أنا وولداي ، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار ، وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال[1] .

---

(١) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١ / ١٩٦ - ١٩٨) .
وقد ذكر هذه القصة الشيخ الطحان في شريط له بعنوان : الجزاء من جنس العمل ، ثم ذكر نفس القصة عن أبي بكر الحيري من تلامذة الخطيب البغدادي في القرن الخامس الميلادي في شريط : اشتراط الدين في الزواج .

هكذا ساق هذه الحكاية يوسف بن خليل الحافظ في معجمه ، وساقها ابن النجار في تاريخه ، وقال : هي حكاية عجيبة . وأظنُّ القاضي حكاها عن غيره . وقد ذكرها أبو المظفر سبط بن الجوزي في تاريخه ، في ترجمة أبي الوفاء ابن عقيل .

ولكن أبا المظفر ليس بحجة فيما ينقله ، ولم يذكر للحكاية إسنادًا متصلًا إلى ابن عقيل ، ولا عزاها إلى كتاب معروف ، ولا يعلم قدوم ابن عقيل إلى الشام ، فنسبتها إلى القاضي أبي بكر الأنصاري أنسب والله أعلم اهـ .

قصة زواج المبارك والد الإمام عبد الله بن المبارك :

يحكي الشيخ الطحّان في شريط له عن اشتراط الدين في الزواج :

إن المبارك كان عبدًا رقيقًا أعتقه سيده ، ثم اشتغل أجيرًا عند صاحب بستان ، وفي ذات يوم خرج صاحب البستان مع أصحاب له إلى البستان ، وقال للمبارك : ائتنا برمان حلو ، فقطف رماناتٍ ثم قدمها إليهم فإذا هي حامضة ، فقال صاحب البستان : أنت ما تعرف الحلو من الحامض ، قال : لم تأذن لي أن آكل حتى أعرف الحلو من الحامض .

فقال له : أنت من كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا . وظن أنه يخدعه، فسأل الجيران عنه فقال: ما أكل رمانة واحدة. فقال له صاحب البستان: يا مبارك ليس عندي إلا ابنة واحدة فلمن أزوجها ؟ فقال له : اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أي الأصناف أنت زوّج ابنتك للصنف الذي أنت منه . فقال : وهل يوجد أتقى لله منك ، ثم زوجه ابنته .

سبحان الله عفّ المبارك عن رمّانة من البستان فسيق إليه البستان وصاحبته ، والجزاء من جنس العمل ، ومن ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه ، ومن هذا البيت خرج عبد الله بن المبارك الذي كان يقول : لأن أرد درهمًا من شبهة خير لي من أن أتصدق بمائة ألف درهم ، ومائة ألف درهم ... حتى عد ستمائة ألف

درهم ﴿ **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا** ﴾ [الأعراف : ٥٨] والد يتنزه عن الشبهات ، وكذا ابنه الإمام .

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد .

فوق ما يريد

طالب علم بالأزهر :

يقول الشيخ الطحان : من صبر على شيء لله عوّضه الله خيرًا منه ، يروي مشايخنا أن طالبًا من طلاب الأزهر قدم من بلاد الصعيد أيام كان الأزهر أزهرَ ، فجلس في حلقة شيخه ، وتأخرت نفقته من الصعيد ، ففارق حلقة الشيخ عساه يحصّل كسيراتٍ من الخبز ولقيمات يقتات بها ويتقوّى عليها ، فبينا هو يسير إذ دخل في شارع ضيق ، فوجد بابًا مفتوحًا ، ووجد خزانة من طعام ، فمدّ يده إلى الطعام ، وكان من المحشي ، ثم بعد أن تناول قطعة منه ووضعها في فمه تذكر أنه جاء ليطلب العلم ، والعلم نور ، والأكل من هذا الطعام دون أن يستحل صاحبه يظلم القلب ، ولا يمكن أن يجتمع النور والظلمة ، وسيطرد أحدهما الآخر ، فترك هذا الطعام ، وعاد لحلقة شيخه وبه من الجوع ما لا يعلمه إلا الله ، وبعد أن انتهى الدرس إذا بامرأة تأتي ، وتكلم الشيخ كلامًا لم يفهمه الحاضرون ، ثم قال الشيخ لطالب العلم هذا : يا عبد الله ، ألك رغبة في الزواج ؟ فقال : أتهزأ بي ، والله من ثلاثة أيام ما دخل جوفي طعام ، فكيف أتزوّج ؟

قال الشيخ : إن هذه المرأة تذكر أن زوجها تُوفي ، وترك بنتًا واحدة ، وكان ذا ثروة ومال كثيرٍ ، وتريد أن يتزوج ابنتها رجلٌ صالح ، يعيش معها ومع ابنتها ، وينمّي المال ويرعاه . فقال : إن كان كذلك فلا بأس . فخرج الشيخ والتلميذ والمرأة والحاضرون يسيرون حتى دخلوا البيت الذي دخله هذا الشاب من قبل، فلمّا وضع الطعام بكى هذا الشاب ، فقال له الشيخ : لِمَ تبكي ؟ هل أكرهناك على الزواج ؟ قال : لا ، ولكني قبل سويعات دخلت هذا البيت لآكل من هذا الطعام الذي وضع بين أيدينا ، فتذكرت أنه حرام فتركته لله ، فأعاده الله إلّي ، ومعه غيره عن طريق حلال . ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

والجزاء من جنس العمل .

من آذت زوجها :

قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»(١).

كما آذت زوجها دعت عليها زوجته من أهل الجنة ، والجزاء من جنس العمل .

يقول ﷺ : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح أن يسجد بشر لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقِّه عليها ، والذي نفسي بيده ، لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس(٢) بالقيح والصديد ، ثم أقبلت تلحسه بلسانها ، ما أدّت حقه »(٣) .

وقال ﷺ: «لو تعلم المرأة حقَّ الزوج، لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه»(٤) .

من كانت عنده امرأتان :

قال ﷺ : « إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط »(٥) .

وقال ﷺ : « من كان له امرأتان ، فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وشقه مائل »(٦).

والجزاء من جنس العمل .

---

(١) رواه أحمد في مسنده، والترمذي عن معاذ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧٠٦٩.

(٢) تنفجر .

(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧٦٠٢.

(٤) صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن معاذ ، وكذا رواه البزار ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥١٣٥ .

(٥) صحيح: رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٧٣.

(٦) صحيح : رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه عن أبي هريرة ، ورواه الطيالسي والحاكم وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٣٩١ .